البيروقراطية
بين النظرية الاجتماعية والتطبيق

الدكتور
محمود عبد الرزاق خلف
جامعة الأنبار – كلية الآداب
قـــســـــم عـــلـــم الاجتماع

١ ـ المقدمة

يستخدم مصطلح البيروقراطية استخداما علميا دقيقا ليعني نوعا من انواع التنظيم الاداري والسياسي والاجتماعي ، يخضع بموجبه الأفراد والموظفون للقواعد والقوانين والتعليمات واللوائح المكتوبة والمدونة . ويقوم هذا التنظيم على مجموعة من المبادئ اهمها توزيع الاختصاصات والاعمال على الموظفين وحسب الدرجة الوظيفية وتحديد المسؤوليات وتسلسل السلطات بموجبها من اجل تحسين اعمال المؤسسات وزيادة قدرتها على اداء اعمالها وتحسين انتاجها وفق الخطط المدروسة لها ، ولهذا النظام مزاياه وفوائده وكذلك عيوبه ومساوئه .

نسعى في هذا البحث اعطاءُ تعريفٍ علميٍ دقيقٍ لبعض المفاهيم الخاصة بالبيروقراطية مستندين الى اهم ما جاء به علماء الاجتماع والادارة الذين تطرقوا لهذا النظام ، وتناولنا أيضا المؤسسة البيروقراطية والمنظور الاجتماعي ،هذه الموسسة التي انتهجت النظام البيروقراطي والذي يعد سر نجاحها وخاصة الانتاجية والصناعية والادارية منها ، والتي من خلاله يتم تحديد العلاقات الاجتماعية العمودية او الافقية منها او الرسمية وغير الرسمية ، هذه العلاقات التي شبهت من قبل بعض العلماء بالهرم او المثلث الذي يتم تحديد الادوار الوظيفية من خلاله .

هذا وتناول البحث فوائد وايجابيات النظام البيروقراطي في المؤسسة الادارية ، اذ انه من الانصاف والموضوعية بمكان النظرالى الجانب الايجابي وتحديد ةالمسؤوليات والواجبات والحقوق وقيادة المؤسسات وادارة شؤنها . وأشرنا ايضا الى اضرار النظام البيروقراطي في المؤسسة من خلال دراسة العلاقة غير المتكافئة بين المسئولين والعاملين وكذلك بين الدولة كمؤسسة والجماهير والسيطرة والحكم على وسائل الانتاج من خلال السلطة والدولة ويشير بعض العلماء الى ان البيروقراطية هي وسيلة قمع واضطهاد تستعملها بعض الدول

ومؤسستها في قهر الشعب وكسر معنوياته واخضاعه لتحقيق برامجها واهدافها من خلال تطبيق قوانينها وتعليماتها وتوجيهاتها المكتوبة والمدونة ، وسلب ارادته وفرض التبعية والفقر عليه مما يؤدي بالتالي الى حالة الصراع بين النظام البيروقراطي والشعب .

يجب الاشارة هنا الى ان لكل مجتمع ظروفه الخاصة ففي الدول النامية نجد ان استخدام البيروقراطية ونظامها الاداري غير ذلك النظام الاداري المتبع في الدول المتقدمة صناعيا واداريا واجتماعيا من خلال درجة الوعي الاجتماعي لذلك النظام .

٢- المفاهيم العلمية Science of concepts

يعد تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية امراً ضروريا في البحث العلمي ، وكلما تم هذا التحديد بالدقة العلمية والوضوح سهّل على القارئ ادراك المعاني والافكار التي يريد الباحث التعبير عنها .ولابد ونحن نبحث عن البيروقراطية من الاشارة الى اهم المفاهيم التي حددها علماء الاجتماع وعلماء الادارة حتى يكون البحث مبنيا على الاسس العلمية الدقيقة :-

أ- البيروقراطية : Bureaucracy

تعني لغوياً مقطعين بيرو (Bureau) ومعناها العربي المكتب و(Cracy) ومشتقة من الاغريقية (krati) ومعناها القوة اوالسلطة ، وبهذا فهي تعني وتؤلف مصطلحا (سلطة المكتب)او قوة المكتب او ادارة او سياسة المكتب ، وتستعمل البيرو قراطية لوصف الادارة في المؤسسات الحكومية للدول والاعمال الادارية الاخرى كالاتحادات والمنظمات والاحزاب الرسمية وغير الرسمية .[١]

يعد العالم الاقتصادي الفرنسي (فنزيت .دي نورتي (١٧١٢ – ١٧٥٩) اول من استعمل مصطلح البيروقراطية في كتاباته الاقتصادية وقد تزايد استعمال هذا المصطلح خلال القرن التاسع عشر عند تدخل الدول في شؤون المجتمع وسيطرة الموظفين على أجهزة المؤسسات الحكومية .

وتزايد استعمال هذا المصطلح عند العلماء الالمان والمفكرين الاوربيين.ومنذ عام ١٨٢٠ فقد شاع استعماله في انكلترا عندما كان على

الدولة ان تضع البرامج الخاصة بالرعاية الاجتماعية للفقراء ورفع مستوى الصحة العامة .

اما الفيلسوف الانكليزي جون ستيوارت فقد وصفها عام ١٩٦٠ بأنها نوع من انواع العمل تمارسه جماعة من الموظفين الاداريين المحترفين للادارة والمؤسسات الصناعية والتجارية .[٢] وللبيروقراطية تعاريف خاصة فقد عرفها علماء الاجتماع وعلماء الادارة امثال يوجين شنايدر : بأنها القوة والنفوذ اللذان يمارسهما موظفوا المؤسسات والدوائر الحكومية وغير الحكومية .

وعرفها عالم الاجتماع الالماني ماكس فيبر المولود ١٢/ابريل / ١٨٦٤[٣]

بأنها مجموعة من الاعمال والواجبات والانظمة الادارية التي يشرف عليها الموظفون الاداريون كل حسب اختصاصه وواجباته وتحديد مسؤلية كل منهم حسب المهام الموكلة له ، واعتبرها ماكس فيبر النموذج المثالي (Ideal Type) لادارة المؤسسات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية .[٤]

اما عالم الاجتماع الايطالي فلفريد باريتو المولود عام ١٨٤٨ فقد خص البيروقراطية بالتعريف الآتي ووصفها هي الانظمة الحكومية وغير الحكومية التي تستعمل الإجراءات الروتينية المتشددة في ادارة الاعمال الادارية للمؤسسات والمنظمات وتتحمل مسؤليتها السلطة الحاكمة المتمثلة بالنخبة التي وصفها بالاعداد القليلة التي وصلت الى مراتب التدرج المهني الوظيفي ، وشدد باريتو على استعمال المنهج المنطقي التجريبي في دراسة المجتمع متأثرا ببعض اراء المدرسة الدارونية خصوصا مبدأ (الصراع من اجل البقاء) .[٥]

ويصفها عالم الاجتماع الامريكي روبرت ميرتون المولود عام ١٩١٠ بأنها السلطة او القوة التي تمنح للاقسام الادارية والفنية الرسمية وغير الرسمية وفروعها وتمارسها على المواطنين من اجل ادارة شؤونهم وخدماتهم وانجاز

معاملاتهم .[٦] واكد عالم الاجتماع البريطاني روبرت مكايفر المولود ١٨٨٢ بان البيروقراطية هي التركيب الهرمي الذي يتألف من عدد من الموظفين الرسميين الذين يكون كل منهم مسؤولا عن الموظفين الاخرين .[٧]

وظهرت خلال القرن التاسع عشر مصطلحات مضادة للنظام البيروقراطي كاالنظام الديموقراطي والنظام الدكتاتوري والنظام الاوتوقراطي . ويمكن القول بان كلمة البيروقراطية تستعمل استعمالاًعلميا دقيقا لتعني نوعا معينا من انواع التنظيم يخضع منه الموظفون للقواعد والقوانين والتشريعات المدونة ، ويعتمد على مجموعة مبادئ اهمها توزيع الاختصاصات والادوار وتحديد المسؤوليات وتسلسل السلطات وذلك من اجل تحسين فعالية المؤسسات او المنظمات بزيادة قدرتها على اداء الاعمال الموكلة لها .

ب-المؤسسة الاجتماعية / Social Institution

المؤسسة في علم الاجتماع تعني مجموعة الاحكام والقوانين والضوابط والنظم المكتوبة والمدونة والتي بموجبها يتم تحديد السلوك والتصرف والتعامل في العلاقات الاجتماعية والادارية في المجتمع ، فقد اشار عالم الاجتماع الفرنسي اوكست كونت (١٧٩٨- ١٨٥٧) عن انها تشمل المؤسسات العائلية والاقتصادية والتربوية [٨] ، اما عالم الاجتماع الانكليزي هربرت سبينسر (١٨٢٠ – ١٩٠٣) فقد اكد في كتابه (مبادئ علم الاجتماع) على انه يمكن تشبيه المؤسسة الاجتماعية بالعضو او الكائن الحي او الجهاز الذي ينجز وظائف مهمة للمجتمع [٩] وعرفها عالم الاجتماع توني (عام ١٩٦٢) في كتابه (المجتمع) بأنها النماذج السلوكية التي يتفق عليها ابناء المجتمع والتي تعتمد على الاحكام والقوانين والنظم المكتوبة والتي بموجبها يتم تحديد سلوك الافراد والجماعات ، مؤكدا على ان كلمة مؤسسة يمكن ان تكون مرادفة إلى كلمة مقياس (Norm) .[١٠] يؤكد عالم الاجتماع دبليو هاملتين في كتابة موسوعة

العلوم الاجتماعية بأنها مجموعة الاحكام والاجراءات والقوانين التي يجب ان يتصرف العاملين والافراد بموجبها اذ ان عدم الالتزام بها او مخالفتها او عدم تطبيقها تعتبر مخالفات يعرضهم الى العقاب وذلك حسب طبيعة التصرف المخالف لتلك الاحكام .[١١] واشار عالم الاجتماع كنلنزلي ويفيز ( ) بأن المؤسسات هي مجموعة الاعراف والاحكام والنماذج السلوكية التي تجيز وظائف مهمة تساعد على ديمومة الهيكل الاجتماعي ، والمؤسسات حسب رأيه تكون على خمسة انواع تبعا للوظائف التي تقدمها للمجتمع ، فهي المؤسسة الدينية والاقتصادية والاسرية والسياسية والعسكرية . [١٢]

جـ - المنظمة / Organization

يتفق علماء الاجتماع على ان المنظمة هي تكامل اجزاء المجتمع او الجماعة واعتماد الواحدة على الجماعة الاخرى . وجميعها تقوم بإنجاز اعمال ونشاطات معينة ويكون لها ادوار تقوم بإنجازها وتربطها علاقات اجتماعية متماسكة ولها قيم ومعتقدات تحدد مسارها الاجتماعي نحو المجتمع الكبير .

استعمل عالم الاجتماع هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣) مصطلح المنظمة الاجتماعية في كتابه (مبادئ علم الاجتماع) وكان يعني بها العلاقات المترابطة بين المنظمة والمجتمع كعلاقة النظام السياسي بالنظام الاقتصادي وعلاقاتها بالنظام الديني [١٣] . اما عالم الاجتماع جارلس كولي ( ) في كتابه (المنظمة الاجتماعية) فقد اشار بأن المنظمة هي مجموعة الجماعات الاولية التي لها اهداف مختلفة الا انها متكاملة بفضل مزاياها الاجتماعية والعقلية ، والمنظمة الاجتماعية هي الانشطة المشتركة والفعاليات المستمرة التي ينظمها التفاعل الاجتماعي لكل مجتمع لأدامته واستمرار ديمومته وانجاز مهامه .[١٤]

اما علماء الاجتماع بروم وسلنزنك فقد عرفا المنظمة في مؤلفهما (علم الاجتماع) بأنها العلاقات المنظمة التي تربط الافراد بالجماعات ، ويؤكدان بأنها من المصادر الاساسية التي تحدد مجرى النظام في الحياة الاجتماعية . [١٥]

٣- المؤسسة البيروقراطية والمنظور الاجتماعي :

يعد عالم الاجتماع الالماني ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠) من اهم العلماء الذين نادوا واكدوا على ضرورة التعامل مع النظام البيروقراطي في المؤسسة ، وقد درسها دراسة علمية تحليلية واعتبرها سر نجاح المؤسسات وخاصة الانتاجية والصناعية والخدمية ، واكد فيبر انه عن طريق المؤسسة البيروقراطية يمكن تحديد العلاقات الاجتماعية سواء العمودية والافقية والرسمية وغير الرسمية ، تلك العلاقات التي يقوم بها شاغلو الادوار الوظيفية في المؤسسات والمنظمات عند القيام بواجباتهم الوظيفية .[١٦]

واشار فيبر الى ان البيروقراطية تحدد الواجبات والحقوق لكل موظف او عامل وتحصر المسؤوليات الادارية بيد اشخاص معنيين يترأسون الاقسام والشعب والمديريات داخل المؤسسة . والمؤسسة البيروقراطية عند انتهاجها النظام البيروقراطي تعتمد على نظام التفاضل والتكامل الوظيفي الاداري والتخصصي ، اذ ان كل دور يكمل الادوار الاخرى .

هذا يعني ان البيروقراطية يعتمد وجودها وفاعليتها على مبدأ التعاون والتكامل بين الادوار اضافة الى مبدأ تقسيم العمل وتحديد المسؤليات الادارية وفق التفاضل والخبرة التي يتميز بها الموضفون عند اشغال كل دور في المؤسسة .[١٧]

شبه ماكس فيبر المؤسسة البيروقراطية بالهرم او المثلث والذي تقسم عليه الادوار الوظيفية .[١٨] فقمة الهرم يشغلها الادوار الوظيفية التي تتحمل المسؤولية في اتخاذ القرارات وتطوير سياسة المؤسسة فهي تكون قليلة العدد ، وتتمثل برئيس

المؤسسة والمدراء العامون واعضاء مجلس الادارة ، اما الادوار التي تكون في منتصف الهرم او المثلث فهي الادوار الوظيفية التي تتلقى الاوامر والتعليمات والقرارات في القيادة في قمة الهرم ، وبدورها توصلها الى الادوار الوظيفية في قاع الهرم او المثلث وتتسلم المعلومات من الادوار الوظيفية في قاعدة الهرم وتوصلها الى القادة المسؤلون اذ ان هذه الادوار لاتقوم بأتخاذ القرارات والتعليمات واصدارها بل تكتفي بتطبيق التعليمات الصادرة لها تمثل هذه الادوار الوسيطة مدير القسم او الشعبة والملاحظون ومعاونوا الملاحظون ومدراء الاقسام الفنية .

اما الادوار التي تقع في قاعدة الهرم او المثلث هذه الادوار تكون اوسع من غيرها وتتمثل بأدوار العمال والفلاحين وكتاب الطابعة والسواق والموظفون الصغار اكد ماكس فيبر بأن هذه الادوار ترتبط بعلاقات قد تكون علاقة اجتماعية عمودية (Vertical social Relation) او علاقات افقية (Horizontal social Relation) فعندما تكون العلاقة بين دورين يحتلون مراكزا ادارية متفاوته من ناحية المسؤولية كعلاقة المدير العام او مدير المؤسسة بالمهندس او مع رؤساء الاقسام الادارية والفنية ، اما العلاقة الافقية تلك العلاقة التي تكون متكافئه متساوية من ناحية درجة تحمل المسؤولية كعلاقة مدير الذاتية بمدير الانتاج او التي تربط رئيس القسم برئيس قسم اخر او علاقة المهندس بالمهندس.

سعى ماكس فيبر معالجة البيروقرطية معالجة اجتماعية (سيولوجية) حديثة وذلك بعد ان فصل فكرة البيروقراطية عن الافكار العاطفية والانفعالية التي احاطت بها لفترة طويلة ، واشار الى ان النظام البيروقراطي لا يمكن الاستغناء عنه في المؤسسات الادارية والصناعية والخدمية . وبهذا فقد طبق فيبر مذهبه النموذج المثالي (Ideal Type) في تعريف ودراسة النظام البيروقراطي . [١٩]

يؤكد ماكس فيبر ينبغي على الادوار الوظيفية في المؤسسه البيروقراطية ان تتوافر فيها الشروط المذكورة ادناه لكي تكون المؤسسة البيروقراطية نموذجية ومثالية :-

- تفاضل الادوار الوظيفية في المؤسسة البيروقراطية حسب اشغال المنصب او الدور الوظيفي ودرجة تحمل المسؤولية ودقة الاداء ودرجة الالتزام بالتعليمات النافذة .
- يعتمد اشغال المنصب الاداري على الكفاءة والمؤهلات العلمية ولا تعتمد على الحسب والنسب ودرجة القربى من المسؤولين والمؤثرين .
- يعمل الموظفون ساعات عمل محدودة كل يوم .
- يخضع جميع العاملين في المؤسسة البيروقراطية الى قانون واحد يحدد واجباتهم وحقوقهم ودرجة تحمل مسؤولياتهم ورواتبهم واجورهم حسب مستوياتهم ودرجاتهم الوظيفية والمناصب التي توكل اليهم . (٢٠)
- تكون ترقية العاملين من درجة الى درجة اعلى عندما تكون اعمالهم متميزة ومرضية .
- يحق لصاحب المؤسسة البيروقراطية او رئيسها نقل او فصل من لا يجد فيه الكفاءة والحرص في العمل .

وبهذا نجد ان ماكس فيبر عند تطرقه للبيروقراطية قد كان متأثرا بطروحات عالم الاجتماع وليم فريدرك هيجل والتي جاء بها في كتابه (فلسفة الحق) عندما اعتبر الدولة المثل الاعلى والذي اشار الى انه يجب الاقتداء به مؤكدا الى ان الاعمال والواجبات التي تقدمها الدولة للمواطنين وبالعكس ان الدولة لا تستطيع القيام بها الا من خلال نظام وجهاز بيروقراطي متخصص في الادارة والتنظيم ، ويكون ولاء موظفي هذا الجهاز لرئيس الدولة او القيادات العليا في الدولة وبهذا المعنى يرى هيجل ان البيروقراطية هي حلقة الوصل بين الدولة والمواطنين وبين المواطنين الذين يرغبون تحقيق مصالحهم الخاصة وانجاز معاملاتهم من خلال مراجعاتهم لتلك المؤسسات الادارية ، بينما المؤسسة ترغب في تحقيق المصلحة العامة هذا يعني ان البيروقراطية وحسب ما جاء بها هيجل هي نظام اداري يوفق بين المصلحة العامة للدولة والمؤسسة والمصلحة الخاصة للمواطنين من خلال تلك الاجراءات والاعمال

التي تقدمها المؤسسة لتحقيق ذلك التوازن ، ويشير هيجل انه لولا البيروقراطية لما استطاعت الدولة او المؤسسات خدمة المجتمع وتحقيق طموحاته واهدافه . [٢١]

اهتم الكثير من العلماء والباحثين في موضوع البيروقراطية واهميتها وفوائدها للمؤسسات الادارية منهم اوكست كونت وباريتو ويوجين وديفيد ريكاردو وشنايدر وهيجل وسبينسر وباسونز وكارل منهايم ، فقد اشار كارل منهايم على انها تنظيم رشيد أي انها تتصل بنسق التصورات والتعقلات وهي الهدف العقلاني لكل تنظيم أي يهدف الى تطوير وتجديد الادوار الوظيفية .[٢٢]

٤- فوائد البيروقراطية :

بعد ان تطرقنا في بداية البحث عن البيروقراطية وتعريفها وماهية النظام البيروقراطي الاداري للمؤسسات والدولة لابد لنا ان نشير الى فوائد وايجابيات البيروقراطية للمؤسسة الادارية والصناعية والخدمية ومؤسسات الدولة .

- البيروقراطية جهاز اداري يوفق بين المصلحة العامة للمؤسسة والمصلحة الخاصة للمواطنين .[٢٣]
- تحدد البيروقراطية طبيعة العلاقات الاجتماعية والادارية العمودية والافقية سواء الرسمية منها ام غير الرسمية .
- تحدد البيروقراطية الحقوق والواجبات للعاملين في المؤسسات من خلال التعليمات والقوانين المدونة والتي لا يمكن تجاوزها .
- البيروقراطية جهاز يقوم على التخصص وتقسيم العمل ويجعل الموظف المناسب في العمل والمكان والمناسبين له وحسب الكفاءه والخبرة والتحصيل الدراسي .
- يستطيع النظام البيروقراطي حصر المسؤوليات للعاملين ، وتساعد رئيس المؤسسة الادارية على السيطرة على المؤسسة وادارتها ادارة ناجحة وتحديد اماكن الخلل ان وجد ومعالجته .

- تقوم البيروقراطية على العقلانية وتجاوز العاطفية والمصلحة الذاتية والانفعالات وكذلك المحسوبية والعلاقات الشخصية من خلال تطبيق العاملين للتعليمات واللوائح والقوانين المكتوبة والمدونة التي تحدد طبيعة العمل في تلك المؤسسات والتي لا يمكن تجاوزها والخروج عنها .[٢٤]
- يحقق النظام البيروقراطي الكفاءه العالية في الادارة مما يؤدي الى زيادة الانتاج وتحسين نوعيته ، من خلال تشجيع العاملين وتقديم المكافأت لهم .

٥- مساوئ البيروقراطية :

تطرقنا في المباحث السابقة عن البيروقراطية واهم العلماء الذين نادوا بتطبيق هذا النظام في المؤسسات الادارية والصناعية والخدمية لما لها فوائد جمة لخدمة تلك المؤسسات ونجاحها وتطوير جهازها الاداري وتحسين الانتاج وزيادته ، وذلك من خلال تطبيق النظام البيروقراطي والعمل بموجبه . الا انه نجد ان علماء اخرين انتقدوا هذا النظام و حاولوا ايجاد المساوئ والسلبيات التي تحول دون العمل به لما له من تأثير على طبيعة المؤسسات التي تنتهج هذا النظام .

يعد عالم الاجتماع الالماني كارل ماركس (١٨١٨) من اشد منتقدي ذلك النظام اذ يفسر البيروقراطية بأنها العلاقات غير المتكافئة بين المسؤولين والعاملين والدولة والجماهير ويصف الدولة بأنها تتكون من كبار المسؤولين الرأسماليين والمفكرين ولكي تستطيع الدولة السيطرة على تلك الجماهير وتقودها وتسيرها وفق برنامجها فأنها تكون البيروقراطية ، وتنشئ النظام او الجهاز البيروقراطي الذي من خلاله تستطيع السيطرة عليها ،ويعتقد ماركس ان البيروقراطية هي وسيلة قمعية تستعملها الدولة ومؤسساتها في قهر الشعب وكسر معنوياته واخضاعه لتحقيق برامجها واهدافها من خلال انتهاج وتطبيق قوانينها والالتزام بطروحاتها المكتوبه والمدونه .[٢٥] ويرى ماركس ان الدولة ومن خلال تطبيق البيروقراطية فان ارادة الشعب تسلب وتفرض عليه التبعية والفقر ، ونتيجة لذلك يظهر الصراع بين

البيروقراطية والشعب ، مما يؤدي بالتالي الى سقوط البيروقراطية ويتحرر الشعب والمجتمع من سيطرتها ، ويؤكد ايضا قد يظهر الصراع بين المسؤلين الذين يحتلون المراكز القيادية انفسهم وبين قيادي المراكز القاعدية ومثل هذا الصراع يهز كيان البيروقراطية وبالتالي لا تستطيع تحقيق مصالح الدولة وخاصة القادة الأثرياء مما يهز كيان الدولة واسقاطها .

ركز كارل ماركس على مبدأ الاغتراب الاجتماعي [*](Socinat Aliention) في تفسير العلاقة غير المتوازنه بين الدولة والشعب من خلال النظام البيروقراطي عندما اراد تفسير عوامل المنافسة والصراع والتناقض بين طبقات المجتمع الصناعي والاداري .[٢٦] فالعامل يشعر بانه مغترب عن رب عمله اومسؤول العمل ، أي هناك حواجز ادارية وقانونية ونفسية واجتماعية تفصله عن رب العمل ، كما ان العامل يشعر بالاغتراب عن السلعة التي ينتجها وخلقها وبذل جهدا من اجل اخراجها وانتاجها وبالتالي لا تعود اليه بل تعود الى رب العمل الذي يمتلك وسائل الانتاج .[٢٧] وكذلك شعور العامل بان جهده وامكانياته الذاتية وقابلياته التي يبذلها في الانتاج والتطوير تقف حائلا ضده وتقيد حرياته وتقتل عنده روح الابداع لهذا عندما لا يكون هناك تجاوبا مع رب العمل بهذا الاتجاه سواء المادية منها او الاجتماعية او النفسية نجد العامل بمرور الزمن يشعر بالاغتراب

طبق كارل ماركس ظاهرة الاغتراب الاجتماعي على الدولة واكد بأن الفرد هو الذي يخلق الدولة لكي تنظم شؤونه وتحل نزاعاته مع الاخرين حلا عادلا ، تحقق مصالحه واسعاده وعندما لا تستطيع الدولة تحقيق متطلباته في العيش وسد حاجاته الضرورية وتأمين مطالبه لهذا يظهر الاغتراب الاجتماعي يؤدي الى الصراع بين الشعب والدولة او السلطة مما يؤدي الى الغليان والثورة ، وتغيير المجتمع من صورة الى صورة اخرى قد تنسجم مع متطلبات الفرد وتحقيق غاياته [٢٨] .

*** الاغتراب الاجتماعي – هو ضاهرة اجتماعية يشعر فيها الفرد مغتربا وبعيدا عن الشيء الذي اوجده وخدمه وضحى من اجله.**

اذ إن ماركس اول من درس (الثورة الاجتماعية)[*]، وذلك من خلال اعتقاده بان المجتمع لا يمكن تغييره نحو الافضل ولا يمكن ازالة القهر والظلم عنه الا من خلال الثورة الاجتماعية .[٢٩]

يرى عالم الاجتاع الروسي سوروكن (١٨٨٩) ان الاغتراب قد يحدث من خلال انتقال الافراد والعاملين في المؤسسات الادارية والصناعية و الخدمية وفي المجال الاجتماعي والوظيفي والمراكز القيادية ، من مكانه اجتماعية او ادارية او سياسية او مادية عالية الى مكانه أوطأ مما كانت عليه مكانته السابقة [٣٠] واشار في ابحاثه الى الطبقية واكد من خلالها على تقسيم السكان الى طبقات متدرجة حسب المكانه والسمعه مستندا الى المقاييس الاقتصادية . وصنف تقسيم المجتمعات والجماعات الى طبقات وفق المعايير السياسية وحسب درجة المنصب السياسي وقوة تأثيره وقسم الافراد والجماعات الى طبقات متفاوته في الجاه والسمعة حسب مقياس الحرفة التي يعمل فيها ، هذا يعني انه قد صنف الطبقية الى التصنيف الاقتصادي والسياسي والتصنيف الحرفي .[٣١]

يعتقد سروكن ان الدولة تستطيع تخفيف الفوارق عن طريق المساواة والعدالة الاجتماعية[*] (Social Justice)والمشاركة من خلال نظام االديمقراطية التي تعمل على تحقيق الفوارق بين الافراد والعاملين ، هذا النظام الذي يعتبر مضادا للنظام البيروقراطي والنظام الدكتاتوري والنظام الارستقراطي هذه النظم التي يعتقد بها سروكن بأنها تعرض النظام السياسي والاداري والاقتصادي والاجتماعي الى عدم الاستقرار.

اما عالم الاجتماع ايرك فروم فقد اشار الى موضوع الاغتراب في كتابه (المجتمع السليم) (Sane society) هي تلك الحالة التي يشعر فيها الانسان بانه لامالك الحقيقي لثرواته وطاقاته بل يشعر انه كائن ضعيف يعتمد كيانه على وجود

---

* الثورة الاجتماعية / هي تغيير شامل يعتري النظم والمؤسسات التحتية والفوقية ، تقوم به الطبقة المظلومة والمغلوبة على امرها بعد تعرضها لأبشع الاستغلال والظلم وجرح الكرامة ضد مصادر التخلف والظلام وضد الفئات المسؤولة عن الاستغلال والإضرار الاجتماعية.

* العدالة الاجتماعية /عرفها عالم الاجتماع هوبهوس في كتابه الموسوم (عناصر العدالة الاجتماعية) – بأنها نوع من المساواة له اهميته الجوهرية في تحقيق الصالح العام ، والمساواة هذه تتجسد في تطبيق الاحكام والقوانين على الجميع بالتساوي . وان الاحكام والقوانين التي تحقق الصالح العام ينبغي ان تستند على قواعد وقاييس اخلاقية يثمنها الناس ويعترفون بها ويصنفها هوبهوس الى عدالة توزيعية وعدالة تبادلية.

قوى خارجية ليس له صلة بها .[٣٢] خص عالم الاجتماع الامريكي روبرت ميرتن المولود عام (١٩١٠) جزء من ابحاثه عن البيروقراطية من خلال كتابة (قراءات في البيروقراطية) فقد اشار الى الجوانب غير العقلانية والسلبية في هذا التنظيم ودرس الوظائف السلبية وما يترتب عليها من علل وخلل وظيفي داخل التنظيم ، وقال بأن البناء في النظام البيروقراطي من اجل تحقيق أهدافه لا بد وان يمارس ضغطا على الموظف والعاملين لكي يكون منهجيا حكيما ومقبولا ، ومن اجل دعم النظام البيروقراطي لا ان تكون العواطف مكثفة اكثر من الضرورة الفنية وبهذا التعامل يكون العامل او الموظف جامدا غير قادر على التكيف مع النظام المفروض عليه لتطبيق التوجيهات والتعليمات الصادرة والتي لا يمكن تجاوزها بأية حال من الاحوال .[٣٣]

ان البناء البيروقراطي قد يكون سببا في نشوء صراع بين النظام البيروقراطي والعاملين والمراجعين بسبب شعور الموظف البيروقراطي بالتعالي والغطرسة تجاه الجمهور والمراجعين وذلك ناتج من شعوره بأنه ممثل السلطة من خلال تأدية واجبه لهذا تنشأ الفجوة بين العاملين والجمهور [٣٤] وعلى البيروقراطي معاملة المرجعين والمواطنين بطريقة غير شخصية بل تكون معاملة رسمية من خلال تطبيق القانون والالتزام به ، اما اذا اراد الموظف البيروقراطي مراعاة المعاملة الشخصية والعمل بموجبها فان صراعا داخل التنظيم البيروقراطي سوف ينشأ مما يؤثر على احداث تغيرا في طبيعة ذلك النظام .[٣٥]

من خلال ما تقدم ندرج ادناه المساوئ والمأخذ والامراض السلبية التي اتسم بها النظلم البيروقراطي في المؤسسة

- اعتماد النظام البيروقراطي القوانين والتعليمات المكتوبه والتي يجب مراعاتها والعمل بموجب العمل الرئاسي الرئيس والمرؤوس المتبع داخل المؤسسة يدفع الموظفين الى الجمود وعدم المرونة والتعامل مع الحالات الخاصة ومنها الانسانية ، كذلك الخوف وتجنب المبادرات خوفا من المسائلة القانونية حال ايجادها.[٣٦]

- اعتماد النظام البيروقراطي على الاداريين المحترفين والذين لديهم الخبرة الطويلة في العمل البيروقراطي ، يجعل منهم موظفين قادرين على المراوغة في تطبيق التعليمات والقوانين لتحقيق المصالح الذاتية لهم او عند تطبيقها ضد خصومهم بحجة تطبيق التعليمات.
- اعتماد النظام البيروقراطيه مركزية السلطة والرئاسة في الاعمال والمسؤوليات بأيدي النخبة يجعلها تتطلع الى حب السلطة والتمسك بها على حساب العاملين والتسلط عليهم في التصرف والتعامل اليومي .
- النظرة الاستعلائية في النظام البيروقراطي مما يؤدي الى تضخم الاداريين والاكثار من المستويات الادارية والمكاتب والابنية مما يؤدي الى توسيع سلطات البيروقراطية والاستعلائية في التعامل .
- ظهور الروتين بسبب الاجراءات المعرقلة لتطبيق القوانين والتعليمات .
- التشدد الصارم في تطبيق التعليمات والقوانين النافذة ، يشجع على نشؤ الوساطة والمحسوبيه والقرابة في انجاز معاملاتهم خلافا للتعليمات.
- ضعف الرقابة وعدم كفاية الدخل والرواتب او بسبب الازمات الاقتصادية او الاجتماعية بين الموظفين مما يجعل ظاهرة الرشوة تسود بين الموظفين لاشباع حاجاتهم .[٣٧]
- يسبب النظام البيروقراطي تأخر في المعاملات وبطء الانتاج وضعف الشعور بالمسؤولية عند الموظفين والعاملين .
- نتيجة التعامل المفرط للقوانين والتعليمات المتشددة يجعل المؤسسة غير قادرة على النمو والتطور وعدم قدرتها على التكيف مع الاوضاع والمستجدات التي قد تشهدها .
- انعدام الحوافز والمكافآت التي تخضع للمنافسة ومساواة الموظفين النشيطين بغير النشيطين .[٣٨]

٦- الاستنتاج :-

من خلال ما تقدم نستطيع القول ان النظام البيروقراطي نظام عقلاني قائم على اساس التخصص وتقسيم العمل الاداري ،مستندا على قوانين وقواعد وتشريعات وضوابط تدير المؤسسة والعاملين فيها سواء على مستوى المسؤولين المدراء منهم والموظفين من خلال تعليمات تحدد بموجبها المسؤولية والواجبات والحقوق لكل فرد يعمل في المؤسسة . وتتطور المؤسسات البيروقراطية في المجتمعات المتقدمة والصناعية والانتاجية منها ، وتعتبر البيروقراطية سر نجاح تلك المؤسسات كونها تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة داخل المؤسسات الادارية .

يمكن الاشارة هنا الى ان البيروقراطية نموذجا مثاليا للسلوك الاداري اذا احسن استعمالها واقعيا وتعتمد على مبدأ الشمولية والقانونية وتنسجم مع طبيعة المجتمع الصناعي وروح العصر الحديث ذلك العصر الذي يتميز بسمات التحديث والتطور والتغير والتنمية والتخصص في العمل ( ) .

وكذلك تحدد البيروقراطية طبيعة العلاقات الادارية العمودية منها والافقية والرسمية وغير الرسمية ، اضافة الى انها تحدد الحقوق والواجبات وكذلك تحصر المسؤليات وتسهل عملية ادارة ادارة المؤسسات . وابتعادها عن التصرفات الانفعالية والشخصية والذاتية ، ويمكن للبيروقراطيه تحديد اماكن الخلل ومعالجته عن طريق اصدار العقوبات لمرتكبي الاخطاء والمقصرين في اداء واجباتهم .

ان البيروقراطيه هي ظاهرة اجتماعية يعتمد وجودها وفاعليتها على مبدأ التعاون والتكامل بين الادوار التي تتكون فيها المؤسسة ، تلك الادوار التي شبهت بالمثلث او الهرم الذي تتوزع عليه الادوار الوظيفة التي يكون التعامل معها والتفاعل عليها حسب العمل ودرجة تحمل المسؤولية ودقة الاداء عند ممارسة الادوار في المؤسسة.

يتطلب استعمال النظام البيروقراطي اصلاح وتغيير في القيم والاعراف الاجتماعية من قيم واعراف هدامة وسلبية الى قيم واعراف اجتماعية ايجابية تتماشى مع مبدأ التحديث والتصنيع والتغيير الاجتماعي . هذا يعني ان البيروقراطية قد لا يكون لها تقبل وانسجام مع الواقع الاجتماعي في الدول النامية مما تلقي معارضه وقد توصف بأنها جهاز سلبي ومعوق للتقدم وضد النظام الديمقراطي كونها لا تتسم مع الواقع الاجتماعي . هذا يعني ان تطبيق البيروقراطية يتطلب ايجاد الارضية الملائمة لتحقيق اهدافها المنشودة التي جاءت من اجلها .

المصادر وتوثيق الهوامش

١- الونـداوي ، هشـام ١٩٧٦ ، (الادارة البيروقراطيـة) – مركـز البحـوث والدراسـات الاقتصادية والادارية ، بغداد ص ٩ -١٠ .

٢- الحسن ، احسان محمد (الدكتور) ١٩٨٦ ، علم الاجتماع الصناعي ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ص ١٠٩ .

٣- ماكري ، دونالد ، ماكس فيبر ، ١٩٨٥ ، ترجمة اسامة حامد ، المكتبة العالمية ، بغداد ص ١٦.

٤- الحسن ، احسان محمد (الدكتور) ١٩٩١ ، رواد الفكر الاجتماعي / جامعة بغداد ص ٣٠٦ .

٥- النوري ، قيس (الدكتور) والحسني ، عبد المنعم (الدكتور) ، ١٩٨٥، النظريات الاجتماعية ، بغداد ، ص ١٢٩- ١٣٠ .

٦- الحسن ، احسان محمد (الدكتور) ١٩٩٦ – محاضرات في التنظيم الاجتماعي ، غير منشورة ، القيت على طلبة قسم الاجتماع مرحلة الدكتوراه

٧- الحسن ، احسان محمد (الدكتور) ١٩٩٩ – موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ص ٣١٤.

٨- نيقولا ، تيما شيف ، ١٩٨٣ ،(نظرية علم الاجتماع) طبيعتها وتطورها ترجمة محمد عودة وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ص ٥٤-٥٥

٩- الحسن ، احسان محمد (الدكتور) المدخل الى علم الاجتماع ، دار الطليعة ، بيروت ص ٨٩ .

١٠- الحسن ، احسان محمد (الدكتور)موسوعة علم الاجتماع ،مصدر سابق ذكره ص٦٢٣ .

١١- نفس المصدر السابق ص ٦٢٣.

١٢- نفس المصدر السابق ص ٦٢٤.

١٣- نفس المصدر السابق ص ٦١٨.

١٤- نفس المصدر السابق ص ٦١٨.

١٥- نفس المصدر السابق ص ٦١٩.

16- Bendix ,R.Max weber , An Intellectuel Portvait , Newyork , Doubledey, 1960 p.421.

١٧- الحسن احسان محمد (الدكتور) ، رواد الفكر الاجتماعي ، مصدر سابق ، ص ٣٠٧ .

١٨- نفس المصدر السابق ص ٣٠٧.

١٩- الحسن احسان محمد (الدكتور) ١٩٨٤ ، علم الاجتماع السياسي ، مطابع جامعة الموصل ، بغداد ، ص ٤٢.

20- Bendix ,R.Max weber , An Intellectuel Portvait ,p.293- 295.

٢١- الحسن احسان محمد (الدكتور)١٩٩٦ ، محاضرات في التنظيم الاجتماعي غير منشورة ، محاضرات القيت على طلبة الدكتوراه في قسم الاجتماع .

٢٢- إسماعيل ،قباري محمد (الدكتور) علم الاجتماع الصناعي ، دار المعرفة ، مصر ، ص٢٥٥.

23- Bendix ,R.Max weber , An Intellectuel Portvait ,p.294.

٢٤- عمر ، معن خليل (الدكتور) ١٩٩١ ، (علم اجتماع المعرفة) ، مطبعة جامعة الموصل ، بغداد ص٢١٤- ٢١٥.

25- Mirx , k . Selected writings ,In Sociology and social philosophy.p.207.

26- Mirx , k . Eanly writings, translated by . T.B .Pottomors . new york ,mcgraw Hill, 1964 p.156.

27- Ibid,pp.156.

٢٨- الحسن احسان محمد (الدكتور)١٩٨٨، علم الاجتماع – دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ص ١٤٠ -١٤١ .

٢٩- الحسن احسان محمد (الدكتور) رواد الفكر الاجتماعي ،مصدر سابق ص ١٧١.

30- Coser, L . Masters OF sociological Thought . p . 472.

31- Sorolin , p . social and cultural mobility , new york ,the free press 1959 – p 41-11.

٣٢- الحسن ، احسان محمد (الدكتور)موسوعة علم الاجتماع ، مصدر سابق ذكره ص٦٦ .

٣٣- المصدر السابق ص ٣١٦.

٣٤- بسيوني ،فؤاد متولي(الدكتور).١٩٩٠،التربية ومشكلة التنميةوالبيروقراطية، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ص ٥٣.

٣٥- المصدر السابقص ٥٤-٥٥.

٣٦- الحسن ، احسان محمد (الدكتور) رواد الفكر الاجتماعي – مصدر سابق ص ٣١٠.

٣٧- نفس المصدر السابقص ٣١٠.

٣٨- شكاره ، عادل (الدكتور) والحسني ، عبد المنعم (الدكتور) ١٩٩٢، التخطيط الاجتماعي ،دار الحكمة للطباعة ، بغداد ص٢٨٦.